

المسيحي  
والإضطهاد

الوحدة العاشرة: دروسٌ من الذين  
احتملوا صابرينَ

MODULE 10



## الوحدة العاشرة: دروس من الذين احتملوا صابرين

**الأهداف:** سيمكّن هذا الدرس الطالب من تأمل المواد التي تمت تغطيتها في وحدات أخرى بأن يضع في الحسبان شهادة المؤمنين الذين احتملوا بصبر المشقة والاضطهاد. وسيفهم الطالب نحو نهاية الدرس مواطن القوة الروحية التي مكّنت الآخرين من الصمود. وسيجد تشجيعاً في تأمله مواطن القوة الروحية هذه – لا بطريقة تُشعره بعدم الكفاية، بل كإلهام له ليجد طرقاً عملية لتطوير مواطن القوة هذه لنفسه وللآخرين الذين سيخدمهم. وبحصوله على التشجيع من هذه الأمثلة، سيكون متسلحاً وهو يستعد للاضطهاد أو وهو يخوضه.

### قراءات كتابية تمهيدية: عبرانيين 11: 1 – 12: 3

#### الإطار العام للوحدة

مقدمة

قصة ديمتري

قوة للاحتمال: سمات شخصية

أ. معرفة يسوع

ب. الصلاة والصوم

ج. العبادة القلبية

د. قبول الاضطهاد كشيء عادي

هـ. التمتع بالحرية في المسيح

و. التغلب على الخوف

قوة للاحتمال: سمات المجتمع الداعم

ز. استظهار النصوص الكتابية

ح. الانتماء إلى العائلة

ط. الاتكال على الآخرين في الاهتمام بالأحباب (العائلة)

ي. المعرفة بأن المعاناة هي من أجل المسيح

ك. تذكر أولئك الذين قطعوا ذلك الشوط قبلنا

#### خاتمة

#### قراءة إضافية

المرجع: "الدعوة إلى الفرح والألم" للكاتب أجيث فرناندو. الفصلين الثاني "كنز منسي" والخامس "الإيمان والصبر"

<http://www.ophir.com.jo/content/call-joy-and-pain>

منشورات دار أوفير 2010.

## الوحدة العاشرة: دروس من الذين احتملوا صابرين

عانى مؤمنون بالمسيح قبلنا واحتملوا الاضطهاد بصبر. ويمكن أن تمثل قصصهم تشجيعاً وإلهاماً للذين يعانون اليوم.

### (1): مقدمة

د. نك ريبكن Nik Ripken خادم مسيحي بارز خدم الكنيسة في أجزاء كثيرة من العالم. وقد انخرط لسنوات كثيرة في الخدمة المسيحية في الصومال، حيث كانت الخدمة هناك بطيئة ومحبطة وكاسرة للقلب. فقد قاد أشخاصاً قليلين إلى الإيمان بالمسيح، لكنه رآهم وهم يُقتلون. ولم يتمكن قط من تأسيس حتى كنيسة واحدة صغيرة في الصومال.

لعلك لم تفاجأ بهذا. وربما تقول في نفسك: "كان بمقدوري أن أخبره بأن الذهاب إلى الصومال لبناء كنيسة أمر غير مُجد، فهي من أصعب الأماكن في العالم للكراسة بالإنجيل فيها. وفضلاً عن ذلك، لا توجد هناك حكومة مركزية. وقد ابتلي البلد منذ فترة طويلة بصراع مسلح وكوارث إنسانية. وتوجد مجموعة إسلامية متشددة لا ترحم الذين لا يتفقون معها."

يمكن لريبكن أن يتفهم رد فعلك هذا. إذ دعا هو نفسه عمله في الصومال أمراً "جنونياً". وفي واقع الأمر، كتب فقد كتاباً حول هذا الأمر عنوانه "جنون الطاعة". إذ قُتل معظم الأشخاص الذين آمنوا بالمسيح من خلال خدمته، وفقد ابناً له وهو يخدم هناك. وفي نهاية الأمر، اضطر إلى الهروب لينجو بحياته. لم يخرج من هناك من دون ندوب محفورة على نفسه وبعض الأسئلة الأليمة. فكيف تُعد أشخاصاً للاضطهاد؟ وما الذي يجعل المرء قوياً بما يكفي للاحتمال الصبور؟ وهل هناك أسلوب لحفظ المؤمنين؟

قادته أسئلته إلى البدء ببحث في أنحاء العالم كله. إذ زار مؤمنين بالمسيح مضطهدين في أنحاء العالم كله. وأجرى معهم مقابلات ليعرف كيف استطاعوا أن يثابروا تحت الضغط الشديد. فكيف قدرُوا على خوض خضم الاضطهاد والخروج منتصرين؟ وعندما نستخدم كلمة "منتصرين"، فإننا لا نعني أنهم "لم يتزعزعا" قط، أو أنهم لم يتعرضوا للأذى. فالانتصار هو أن تبقى قريباً من يسوع في طاعة له. قابل ريبكن مؤمنين كثيرين جاءوا إلى الإيمان بالمسيح من خلفيات شيوعية وإسلامية وهندوسية. وسأل نفسه في مناسبات عديدة لم لم يقم هؤلاء بكتابة كتب حول الخبرات التي مروا بها ليستفيد الآخرون من قصصهم. وأدرك الجواب – هنالك كتاب يدور حول المؤمنين المضطهدين، ألا وهو الكتاب المقدس.

يلخص ريبكن نحو نهاية كتابه إحدى عشرة علامة لاحظ أنها مؤشرات جيدة إلى ترجيح احتمال المؤمنين بصبر في ظروف الاضطهاد. وسنتمعن في هذا الدرس في كل واحدة من علامات القوة الإحدى عشرة.

تقدم هذه العلامات مقياساً مفيداً لنا. ويفترض أن تكون بمنزلة تشجيع وتحفيز.

لا تُصَبّ بالإحباط إذا كنت ما دون المستوى بالنسبة لبعض تلك السمات. وإذا كنت تعتقد أنك قصرت، فكن صريحاً مع الله واطلب عونه. تذكرنا رومية 8: 31 بأن الله هو إلى جانبنا، وهو مستعد لإمدادك بما تحتاج إليه من أجل الصمود.

## (2): قصّة ديمتري

يكرّم الله شهادة خادمه الأمين، حامياً إيمانه بالمسيح  
في وسط الاضطهاد الفظيع المستمرّ

بدأ د. ربكن في بداية بحثه بلقاء المؤمن الروسيّ المخضرم، ديمتري. وهذا هو ما يكتنبه حول لقاءه معه:

"أخذني فكتور وصديقه في السيّارة. وبدأنا في جولة طالت أربع ساعات عبر الرّيف شمال موسكو. وفي طريقنا إلى وجهتنا. أخبرني فكتور أنه يعرف ديمتري، رفيقه في الإيمان الذي عانى الكثير من أجل إيمانه. استمعت بقيّة الرحلة إلى فكتور وصديقه وهما يرويان رحلاتهما في الإيمان وقصص حياتهما. وأخيراً، وصلنا إلى قرية روسيّة صغيرة. وتوقّفنا أمام مسكن صغير. ففتح ديمتري الباب ورحّب بنا بلطف في بيته الصّغير. أوْعز إليّ قائلاً: "أريدك أن تجلس هنا. إذ كنت جالساً هناك عندما جاءت السّلطات للقبض عليّ ليرسلوني إلى السّجن مدّة سبع عشرة سنة."

استويّت في جلستي واستمعت باهتمام بالغ للسّاعات القليلة التّالية إلى ديمتري وهو يروي قصّته الشخصيّة التي لا تُنسى. أخبرني أنه وُلد وترعرع في عائلة مؤمنة. إذ كان أبواه يأخذانه إلى الكنيسة في صغره. وشرح أنه مع مرّ العقود، دُمّرت الشّيوعيّة ببطءٍ معظم الكنائس وأماكن العبادة. وسُجّن رعاة كثيرون أو قُتلوا. وأوضح لي أنه عندما نضج، كانت أقرب بناية كنيسة باقية على مسافة ثلاثة أيّام سيراً. فكان مستحيلاً على عائلته أن تحضر إلى الكنيسة إلاّ مرّة أو مرّتين في السّنة. وأضاف قائلاً: "وذاّت يوم توجّهتُ إلى زوجتي وقلتُ لها: من المرجّح أنك ستظنّين أنني مجنونٌ. أنا أعرف أنه ليس لديّ أيّ تدريب دينيّ من أيّ نوع، لكنّي قلقٌ من أن يترعرع أبنائنا من دون أن يتعلّموا عن يسوع. ربما تبدو هذه فكرة مجنونة، لكن ما رأيك إذا جمعنا الأولاد معاً ليلة واحدة في الأسبوع لكي أقرأ لهم قصّة من الكتاب المقدّس ونحاول أن نعطيهم شيئاً من التدريب الذي يفقدونه، لأنه لم يعد لدينا كنيسة حقيقية؟"

إنّ ما لم يكن يعرفه ديمتري أنّ زوجته كانت تصلّي لسنوات من أجل أن يقوم زوجها بشيء من هذا القبيل. فرحبت بفكرته فوراً. فبدأ يعلم عائلته ليلة واحدة في الأسبوع، ويقرأ لهم من نسخة كتاب عائلة المقدّس العتيق. ثم وجد صعوبة في إيجاد الكلمات المناسبة لشرح ما سبق أن قرأه للتوّ لأبنائه ليفهموا. وعندما تعلّم تلك القصص مرّة أخرى وراح يعيد سردها، سرعان ما بدأ أبنائه يساعدونه في تلك المهمة. وفي نهاية المطاف، بدأ الأولاد وديمتري وزوجته يروون تلك القصص المألوفة بعضهم لبعض. وكلّما ازدادوا معرفة، زادت متعة الأطفال في وقت العبادة الإلهيّة. وفي نهاية الأمر، بدأ الأطفال يطلبون المزيد: "بابا، هل يمكننا أن نرتّم تلك التّرايم التي يرتّمونها عندما نذهب إلى الكنيسة الحقيقيّة؟" فعلمهم أبواهم التّرايم التقليديّة المسيحيّة. فبدأ تقدّماً طبيعياً للعائلة لا أن تقرأ الكتاب المقدّس وترتّم فحسب، بل أيضاً أن تقضي الوقت معاً للصّلاة. وبدأوا يحولون دراسة الكتاب المقدّس إلى عبادة عائليّة حقيقية.

ما كان ليخفى الامر لمدة طويلة في مثل تلك القرية الصغيرة. إذ كانت البيوت فيها قريبة بعضها من بعض، وغالباً ما كانت النوافذ مفتوحة. فبدأ الجيران يلاحظون ما كان يحدث في عائلة ديمتري. فسأل بعضهم إن كان بإمكانهم أن يأتوا ويستمعوا إلى قصص الكتاب المقدّس ويرتّموا التّرايم المألوفة. فاحتجّ ديمتري قائلاً إنه لم يكن مدرباً على فعل ذلك. وشرح لهم أنه ليس خادماً. غير أن العذر الذي أبداه لم يكن كافياً لتثني الجيران عن رغبتهم. فبدأت مجموعة صغيرة بالاجتماع معاً للمشاركة في القراءة ومناقشة قصص الإنجيل والتّرايم والصّلاة معاً. وبحلول الوقت الذي نمت فيه المجموعة إلى خمسة وعشرين شخصاً، بدأت السّلطات تلاحظ ما يحدث، فجاء مسؤولو الحزب المحليون ليرؤوا ديمتري. وهددوه بالأذى الجسديّ، وهو أمر كان متوقّعاً. لكنّ ما

أزعج ديمتري أكثرَ كان اتهامهم له: "لقد بدأت كنيسة غيرَ قانونية!" فقال لهم: "كيف يمكنكم أن تقولوا ذلك؟ ليس لدي أي تدريب. وأنا لست راعياً. وليس هذا مبنى كنيسة. ما نحن إلا مجموعة من العائلة والأصدقاء نجتمع معاً. وكل ما نفعله هو قراءة الكتاب المقدس والكلام عنه والتّرنيم والصلاة، وفي بعض الأحيان نشارك ما نملكه من مالٍ لنساعد جاراً فقيراً. فكيف يمكنك أن تدعو ذلك كنيسة؟"

"كدتُ أن أضحك من المفارقة المتضمنة في ادّعائه. ففي مرحلة مبكرة من رحلتي في الخدمة. لم أكن قادراً بسهولة على فهم الحقيقة التي كان يشاركها. والآن، عندما أعود بالذاكرة إلى الماضي، أفهم أن واحدة من الطرق الأكثر دقة لتحريّ حجم عمل الله هو أن نلاحظ ضخامة المقاومة الموجودة. فكلما زادت حيوية المؤمنين الروحية قوي الاضطهاد. ومن المستغرب أن كثيراً ما يحسّ المضطهدون بعمل الله حتى قبل أن يدرك المؤمنون المعنيون دلالة ما يحدث! وفي حالة ديمتري، أحسّ المسؤولون بتهديد ما كان يفعله قبل أن يخطر هذا بباليه.)

قال المسؤول الشيوعي لديمتري: "لا يهمننا ما تدّعون، لكنه يبدو لنا كنيسة. فإذا لم توقفها، فستحدث أشياء سيئة". وعندما نمت المجموعة إلى خمسين شخصاً، بدأت السلطات تنفيذ تهديداتها. قال ديمتري: "فُصلتُ من عملي في المصنع. وفقدت زوجتي وظيفتها كمعلمة. وطُردَ أبنائي من المدرسة". وأضاف قائلاً: "أمورٌ صغيرة كهذه". وعندما نما عددُ الناس إلى خمسة وسبعين، لم يكن أي مكان لجلوس الجميع. إذ كان القرويون يقفون متلاصقين كتفاً إلى كتف، وخذاً إلى خد في المنزل. وكانوا يتزاحمون حول النوافذ من الخارج ليستمعوا بينما كان رجل الله يقودُ شعب الله في العبادة.

وذات ليلة، بينما كان ديمتري يتكلّم جالساً في الكرسي الذي كنتُ جالساً فيه، دُفع فجأةً بابُ بيته وفتح بعنفٍ. وقام ضابطُ باختراق الحشد، وأمسك بديمتري من قميصه وصفّعه على جانبي وجهه بشكل متكرر ودفعه بقوة على الجدار قائلاً بصوتٍ باردٍ: "سبق أن أنذرنّاك مراراً وتكراراً. ولن ننذرك مرّةً أخرى! فإذا لم توقف هذا الهراء، سيكون هذا أقلّ شيء سيحدث لك". وعندما بدأ الضابطُ باختراق الحشد راجعاً نحو الباب، خاطرتُ جدّة صغيرة الحجم بحياتها، إذ قامت من وسط ذلك المجتمع العابد الذي لا اسم له، ولوّحت بإصبعها في وجه الضابط. أعلنت في ما يشبه إعلانات أنبياء العهد القديم: "لقد وضعت يدك علي رجل من رجال الله، ولن تبقى على قيد الحياة!" حدث هذا في ليلةٍ ثلاثاء. وفي ليلة الخميس، وقع الضابطُ ميئاً إثر نوبةٍ قلبية.

اجتاح خوفُ الله مجتمع القرية كلّهُ. وفي خدمة الكنيسة البيئية التالية، حضر ما يزيد عن 150 شخصاً. فلم يكن بوسع السلطات السماح باستمرار هذا الأمر. وهكذا سُجن ديمتري مدّة سبع عشرة سنة. لأن ديمتري كان يجلس أمامي مباشرةً في بيته أدركتُ، أن قصّة الاضطهاد هذه بالتحديد كانت قصّة بقاء وانتصار. ويمكن أن يتوقّع بوضوح لمثل هذه القصّة أن تكمل بنهاية سعيدة. لكن هذا لم يعن أن القصّة ستكون "لطيفة" أو سهلة.

وبالفعل، كانت قصّة أليمة. تحدّث ديمتري بهدوء عن فراق طويل يفطر القلب، عن العرق والدّم والدموع. وتحدّث عن أبنائه وهم يكبرون في غياب أبيهم عن البيت. ووصف عائلة "فقيرة مجاهدة" مُحتملةً بصبر مشقّة عظيمة. لم يكن هذا نوع الشّهادة الملهمّة التي نحب أن نفرح به، بل كان إيماناً كتابياً فحاً. كانت هذه قصّة رجل رفض أن يتخلّى عن يسوع – رجل رفض أن يتوقّف عن إخبار الناس بالبشارة بدءاً بعائلته وجيرانه. نقلت السلطات ديمتري إلى سجنٍ يبعد ألف كيلو متر عن أسرته. وكانت زنزانته صغيرة جداً حتى إنه عندما كان يريد أن يخرج من فراشه، كان يحتاج إلى خطوة واحدة إمّا للوصول إلى باب زنزانته أو الوصول إلى المغسلة المتصدّعة الملتصقة على الحائط المقابل، أو لاستخدام المراض المفتوح القذر في الزاوية "البعيدة" من الزنزانة.



ويقول ديمتري إن أسوأ شيء واجهه في السجن أنه كان المؤمن الوحيد بين خمسة عشر مجرماً غليظي القلب. فكان انفصاله عن جسد المسيح أكثر صعوبة حتى من التعذيب الجسدي الذي ذاق منه الكثير. غير أن جلاديه لم يقدروا أن يكسروه أو يوصلوه إلى الانهيار. أشار ديمتري إلى سببين لقوته في وجه التعذيب. سبق أن تعلم من أبيه عادتين روحيّتين، أو تدريبين روحيّين أخذهما معه إلى السجن. وقد أصر ديمتري أنه لولاهما، لما بقي إيمانه حياً. فعلى مدى سبع عشرة سنة في السجن، كان في كل فجر يقف متأهباً إلى جانب سريرِه. وكان كعادته يواجه الشرق ويرفع ذراعيه في تسبيح لله، وبعد ذلك كان يرثم ترنيمة قلبية ليسوع.

كان رد فعل السجناء الآخرين متوقعاً. فكان يروي عن إطلاقهم الضحكات الساخرة واللغات والشتائم. وقام السجناء الآخرون بضرب أكوابهم المعدنية بعنف على القضبان الحديدية في احتجاج غاضب. كانوا يلقون بالطعام عليه، وأحياناً بالبراز في محاولة لإخراسه وإطفاء النور الحقيقي الوحيد الساطع في ذلك المكان كل صباح في الفجر. وكانت هنالك ممارسة روحية أخرى حدثني عنها ديمتري. فكلما وجد قصاصه من الورقة في السجن، كان يتسلل للحصول عليها وإدخالها إلى زنزانه. وعندئذ كان يسحب عقب قلم صغيراً من الفحم سبق أن احتفظ به ويكتب على تلك القصاصه، بخط صغير جداً حسب استطاعته، الآيات والقصص الكتابية أو الترانيم التي كان بمقدوره أن يتذكرها. وعندما كانت القصاصه تمتلئ، كان يمشي إلى زاوية زنزانه الصغيرة حيث كان هنالك عمود من الإسمنت يقطر ماء باستمرار – إلا في وقت الشتاء عندما كانت الرطوبة تصبح مثل طبقة صلبة من الجليد على السطح الداخلي لزنزانه. فكان يأخذ قصاصه الورقة ويصل بيده إلى نقطة ممكنة ويلصقها على العمود الرطب كتقدمة تسبيح لله. وبطبيعة الحال، كلما لاحظ السجناء قصاصات الورق على العمود، فكان يدخل إلى زنزانه، وينزلها ويقرأها ويضرب ديمتري بشدة، مهدداً إيائه بالموت. ومع هذا، رفض ديمتري أن يتوقف عن هاتين الممارستين. فكان يصحو في كل فجر ليرثم ترنيمة. وكلما وجد قصاصه ورق، كان يملؤها بالآيات الكتابية وعبارات التسبيح.

استمر هذا سنة بعد سنة. حاول حراسه أن يجبروه على التوقف. وقد فعلت السلطات أموراً لا توصف بعائلته. وفي نقطة ما، أوهموه أن زوجته قد اغتيلت وأن الدولة أخذت أبناءه. عذبوه نفسياً بقسوة قائلين: "لقد دمّرنا بيتك. وعائلتك انتهت." وأخيراً، بدأ عزم ديمتري ينهار. فأخبر الله أنه لم يعد يحتمل المزيد. واعترف للحراس: "لقد فرتم! سأوقع أي اعتراف أو إقرار تريدون. يتوجب علي أن أخرج من هذا المكان لأجد أولادي." فأخبروه: "سنحضر اعترافك الليلة، وستوقعه غداً. وبعد ذلك، يمكنك أن تخرج حراً." فبعد السنوات الكثيرة تلك، كان الشيء الوحيد الذي كان عليه أن يفعله هو أن يوقع على وثيقة تقول إنه ليس مؤمناً بالمسيح وأنه قبض مალأ من عميل لحكومات غربية بهدف محاولة القضاء على الاتحاد السوفييتي. وحالما يضع توقيعاً على الورقة، سيخلي سبيله. فكرر ديمتري نيته قائلاً: أحضروها غداً وسأوقع عليها!"

وفي تلك الليلة عيناها، جلس على سريرِه في الزنزانة. كان في يأس عميق حزينا على حقيقة استسلامه. وفي اللحظة نفسها، وعلى بعد ألف كيلو متر، شعرت عائلته – زوجته وأبنائه الذين يعيشون بعيداً عنه، وأخوه – بالروح القدس يأس ديمتري في السجن. فاجتمع أحبّاءه حول المكان نفسه الذي كنت أجلس عليه بينما كان ديمتري يروي قصته. ركعوا جميعاً في دائرة وبدأوا يصلّون بصوت عالٍ من أجله. وبشكل معجزٍ سمح روح الله القدوس الحيّ بسماع أصوات أحبّائه وهم يصلّون من أجله.

وفي صباح اليوم التالي، عندما دخل الحراس إلى زنزانته حاملين الوثيقة، كان ظهره قوياً مستقيماً. وكانت كتفاه صلبتين، وكانت هنالك قوة على وجهه وفي عينيه. قال لأسريه معلناً: "لن أوقع على أي شيء!" فلم يصدق الحراس ما يسمعون. فقد ظنّوا أنه هُزم وقُضي عليه. فطالبوه بالإجابة: "ما الذي حدث؟" ابتسم ديمتري وأخبرهم: "في هذه الليلة، سمح الله لي بأن أسمع أصوات زوجتي وأبنائي وأخي وهم يصلّون من أجلي. أنتم

كذبت علي! فأنا أعرف الآن أن زوجتي حية وفي صحة جيدة. وأعرف أن أبنائي معها. وأنا أعرف أيضاً أنهم ما زالوا في المسيح. ولهذا فإني لن أوقع على أي شيء!"

واصل مضطهدوه محاولين أن يثبطوا عزيمته ويخرسوه. لكنه بقي وفياً للرب. وذات يوم غمرته السعادة عندما حصل على عطية خاصة من يد الله. إذ وجد في ساحة السجن ورقة كاملة. قال ديمتري: "ووضع الله قلم رصاص إلى جانبيها!" ومضى قائلاً: "هرعت عائداً إلى زنزاني وكتبت كل شاهد كتابي وكل آية، وكل قصة، وكل ترنيمة يمكنني أن أتذكرها. عرفت أن هذا كان على الأرجح ينطوي على حماقة، لكنني لم أتمالك نفسي. فملأت جانبي الورقة بكل ما في الإنجيل قدر الإمكان. ورفعت يدي وألصقت الورقة كلها على عمود الإسمنت المرطب. ثم وقفت ونظرت: بدا هذا لي أعظم تقدمة أن أقدمها ليسوع من زنزاني السجن.

وبطبيعة الحال، رآها السجان، فضربت وعوقبت، وهُددت بالإعدام. "تم جر ديمتري من زنزانيته. وبينما كان يجر نحو أسفل الممر في وسط السجن، حدث أغرب شيء. فقبل أن يصلوا إلى الباب المؤدي إلى الساحة. وقبل دخول المكان الذي سينفذ فيه الإعدام – وقف ألف وخمسة مئة مجرم قاسي القلب متأهبين إلى جانب أسيرتهم. ووجهوا وجوههم إلى الشرق، وسمع ما بدا له أعظم جوق في التاريخ كله، حيث رفعوا أذرعهم، وبدأوا يرنمون الترنيمة القلبية التي سبق أن سمعوها من ديمتري كل صباح على مدى السنوات الكثيرة. فأرعى سجانو ديمتري أيديهم عن ذراعيه، وابتعدوا في رعب. وطالب واحد منهم أن يعرف: "من أنت؟" فقام ديمتري واعتدل في وقفته باعتزاز وفخر قدر الإمكان، وقال: "أنا ابنُ الله الحي الذي اسمه يسوع!" فأعادوه إلى زنزانيته. وفي وقت لاحق، أطلق سراحه وعاد إلى عائلته. والآن وبعد سنوات، عندما استمعت إلى ديمتري وهو يروي قصته عن معاناته التي لا توصف وأمانة الله الثابتة، وجدت نفسي أفكر في زمن في الصومال عندما تصوّرت أن كتابة بعض مواد التلمذة التي يمكن أن تساعد المؤمنين حيث يُضطهدون، مؤمنين مثل ديمتري. بدت تلك الفكرة سخيفة الآن. فما الذي يمكنني أن أعلم هذا الرجل عن إتباع المسيح؟ لا شيء على الإطلاق! لقد أذهلني تماماً ما سمعته. أمسكت رأسي بيدي، وصرخت في قلبي: يا رب، ماذا يمكنني أن أفعل بقصة كهذه؟ لقد عرفت على الدوام قوتك، لكنني لم أر قدرتك تُظهر على هذا النحو! فإن كان هذا الرجل يمثل الإيمان الكتابي، فمن أنا؟ فما أصغر إيماني!

كانت قصة ديمتري أكثر خطراً من الطلقات كلها في الصومال. لقد عرضني الصومال إلى الخطر على حياتي. وعرضت نوعاً إيمان ديمتري نفسي إلى الخطر. فكيف، بإيماني الصغير أن أشاهد وأسمع بينما يخرج دانيال وإيليا وموسى وبطرس أمامي من صفحات الكتاب المقدس؟ فكأن الكتاب المقدس صار في صيغة الفعل المضارع بالنسبة لي لأول مرة. وصارت صفحاته مفتوحة على مداها، ومن المستحيل أن نتجاهل إلهاً يفعل ما فعله على الدوام.

أدركت، وأنا مستغرق في أفكار، أن ديمتري كان ما زال يتكلم. اعتذرت قائلاً: "أوه. أنا آسف. لم أكن أصغي!" صرف ديمتري قلبي بهزة صغيرة من رأسه وابتسامة ساخرة. وأضاف شارحاً: "عندما وصلت هذا الصباح، كنت أناقش مع الله أمراً. فجاءت زيارتك لتقاطع هذا النقاش. والآن عندما رأيت انشغالك بأفكارك الخاصة، عدنا أنا والله إلى محادثتنا وأنهيناها." وفي تلك اللحظة، عرفت أن علي أن أطرح سؤالاً عندئذ: "أخ ديمتري، هل يمكنك أن تصنع معروفاً معي؟" ترددت في الاستمرار، لكن عيني حركتاني ودفعتاني إلى الاستمرار: "هل يمكنك أن تصلي تلك الترنيمة من أجلي؟" دفع ديمتري نفسه ليقوم من وراء طاولته. حمل في عيني ثلاث ثوانٍ أو أربع، بدت لي تلك الثواني الأبدية في طولها. التفت ببطء تجاه الشرق، وشدد ظهره ليقف على أهبة الاستعداد. ورفع ذراعيه وبدأ يرنم.

أنا لا أعرف اللغة الروسية، ولهذا لم أفهم أية كلمة من تلك الترنيمة، ولم أكن محتاجاً إلى ذلك. وعلى الأرجح أن الكلمات لم تكن تهم. فعندما رفع ديمتري ذراعيه وصوته في تسبيح ورنم تلك الترنيمة التي اعتاد أن يكررها كل صباح مدة سبع عشرة سنة، بدأت الدموع تنهمر على وجهينا. وعندئذ فقط بدأت أدرك معنى العبادة وأهمية الترانيم القلبية. لقد جئت إلى روسيا مبدئياً للبحث عن أجوبة، سائلاً نفسي إن كان يمكن للإيمان أن يبقى حياً وحتى ينمو في أكثر البيئات عداً في العالم. صار ديمتري أحد أوائل مرشدي في رحلتي. وبدأت أشعر بأن موضوع هذه الرحلة ليس تطوير مواد للتلمذة، بل هو السير مع يسوع في الأماكن الصعبة. وانجذبت إلى هذه الحياة التي عاشها ديمتري: حياة معرفة يسوع، ومحبة يسوع، واتباع يسوع، والحياة مع يسوع.

والآن، سؤالنا هو ما يلي: هل من الممكن أن نحيا حياة الانتصار في وسط الاضطهاد؟ تخبرني قصة ديمتري بوضوح أن حياة الانتصار أمر ممكن. وإن كان الأمر كذلك، كيف يمكن لمثل هذه الحياة أن تعيش؟ وكيف لمؤمن أن يمتلك إيماناً منتصراً في إطار من المعاناة والآلام والاضطهاد؟ وفي واقع الأمر، تسعى بقيّة المقابلات التي أجريتها إلى الإجابة عن هذا السؤال. وقد حدّدنا من خلال تلك المقابلات عدداً من الحقائق الروحية الجوهرية والممارسات المشتركة التي كانت موجودة في حياة المؤمنين الذين يعيشون حياة الانتصار في وسط الاضطهاد. وكان سؤالنا أيضاً هو: هل من الممكن أن نحيا حياة الانتصار في وسط عالم غربي يبدو أنه يوحى بأن أتباع المسيح مخلّون بالتمتع بكل شيء؟ فالأمور في الاضطهاد غالباً ما تكون بيضاء أو سوداء، وفي الاضطهاد يبدو الشر والخير محددين بوضوح. وأما في الغرب، فإن هنالك "خيراً" كثيراً يصير معه مستحيلاً تقريباً أن نتخلّى عن بعض هذه "الأمور الجيدة" لكي نختار "اللؤلؤة الواحدة كثيرة الثمن".

لن نتجاسر أبداً بالافتراض أنه كان أمراً سهلاً بالنسبة لديمتري! لكن المقابلات التي أجريناها تبين بوضوح حقيقة مفزعة: عندما يُنقذ مؤمنون مضطهدون ويستوطنون الغرب، فإن الإيمان الذي حاربوا من أجل التعبير عنه بنشاط وحيوية في الاضطهاد يتضاءل بشكل عظيم (وبسرعة) تحت ضجيج النزعة الغربية إلى الاستهلاك. فهل يمكن أن تكون خدمة يسوع في العالم الغربي أصعب حتى من خدمة يسوع في أماكن يكون الاضطهاد فيها هو النمط المعتاد؟ وفي أيّ الوضعين، فإننا مقتنعون بأن الحاجة إلى الحياة المنتصرة، رغم صعوبتها، أمر ممكن لشخص يسع إلى أن يكون تابعاً حقيقياً ليسوع، لا لمجرد عضو فقط في كنيسة. ونحن مقتنعون أيضاً أن لدى المؤمنين الذين يعيشون في إطار من الحرية النسبية الكثير ليتعلّموه من المؤمنين الواقعيين تحت الاضطهاد. وهذه هي مجرد بعض من الدروس التي يمكن أن نتعلّمها.

## مراجعة وأسئلة للنقاش

اقرأ قصة ديمتري مرة أخرى واكتب كل موقف أو عادة أو سمة جعلت من ديمتري مؤمناً منتصراً. عند أية نقطة، وبالتحديد عند أي هاجس، بدأ عزم ديمتري يتداعى ويتعثر! كيف ارتبط داعي القلق هذا بالظروف التي أدت به إلى بدء درس الكتاب المقدس والترنيم في البيت في المقام الأول؟ وهل أكرم الله داعي الخوف ذلك فيه؟ وكيف؟ انظر إلى أعماق نفسك، أيّ داعٍ للقلق يمثل أكبر ثغرة والتي يمكن أن تُشكّل إمتحاناً لصمودك في وجه الاضطهاد؟



### 3. قوة للاحتمال: سمات شخصية

هناك سمات نمطية في الإيمان الشخصي والممارسة والمجتمع  
تسم وتصبح المضطهدين من أجل إيمانهم الذين عاشوا إختبار النصر.

يستمد د. ريكس تعريف السمات التي تساعد المؤمنين في الصمود بقوة حتى في وجه المعاناة والاضطهاد  
البالغين، من لقائه القوي والباعث على التواضع مع ديمتري، ومن مقابلات أخرى مع مؤمنين آخرين. وسندرس  
في هذا القسم السمات الشخصية. وسندرس في القسم الثاني سمات المجتمعات الداعمة.

#### أ. معرفة يسوع

إن المؤمنين الذين يعيشون حياة الانتصار في الاضطهاد أشخاص يعرفون يسوع. وليس إيمانهم نائياً أو  
مجرداً. فإيمانهم حقيقي، ويسوع حقيقي. وعلاقة يسوع بأتباعه غنية وحيوية وحية. والمؤمنون الذين يرحلون  
تحت الاضطهاد يعرفون يسوع ويعيشون معه كل يوم. ولم يقايضوا علاقتهم بيسوع بدين أو طائفة أو حزب  
سياسي. يكشف هؤلاء المؤمنون عن مسيرة وثيقة مع يسوع في نبرتهم، وعلى وجوههم، ومن خلال إيمانهم.  
وهم يمثلون لنا نموذجاً كيف أنه لا توجد حاجة كبيرة إلى انتقاد الحكومات أو تشويه شخصيات دينية أخرى. إذ  
تتمثل مهمتنا ببساطة في أن نرفع يسوع وعندما "يرفع" يسوع، فإن الناس ينجذبون إليه وإلى ملكوته. وهذه  
المقابلات دذكرتنا بشيء نعرفه تمام المعرفة فعلاً، ألا وهو أنه لا مثل ليسوع!

#### ب. الصلاة والصوم

إن المؤمنين الذين يعيشون حياة الانتصار في الاضطهاد أشخاص يعرفون من خبرتهم الشخصية قوة  
الصلاة والصوم. وتوضح نقلة ديمتري السلسلة من محادثته مع إنسان آخر إلى محادثة مع الله، توضح قوة  
الصلاة وحقيقتها في حياته. وقد لاحظنا هذه النقطة السلسلة نفسها على نحو متكرر في مقابلاتنا. فالحديث إلى الله  
والاستماع إليه كلاهما حقيقة يومية حيوية للذين يعيشون حياة الانتصار. إذ يتكلم هؤلاء المؤمنون مع يسوع  
كما يفعلون مع شخص موثوق يستمع إليهم. وهم يتواصلون في شركة مع إله يستجيب، وهم يخضعون لقيادته  
عندما يقول "لا" أو "نعم".

طلب مني أن أغادر في وقت مبكر من النهار من بلد في جنوب شرق آسيا لأن مؤمناً كان مقرراً أن أقابله  
أحس بأنه ملاحق. فاستجبت فوراً لدواعي مخاوفه الأمنية. وسيأتي مؤمنون آخرون بأخذي إلى المطار. وبينما  
كنا نسافر إلى المطار في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، بدأ سائق السيارة يتعرج شمالاً ويمينا بشكل متقطع  
من خلال الأزقة الخلفية المختلفة. وعندما رأى رفاقي السائق نظرة الفلق في عيني، ابتسم وطلب مني ألا أقلق،  
فقد سمع من خلال علاقاته المتشابكة في "الكرمة الروحية" أن قائداً من الريف الجبلي عاد إلى العاصمة في  
وقت متأخر من مساء أمس، وأنه يريد أن يقابلني. واستمر يقود السيارة عبر أزقة خلفية كثيرة إلى أن وصلنا  
إلى شقة متداعية ذات درج خشبي متصل بخارج الشقة بشكل غير محكم.

عندما تسلقنا ثلاثتنا إلى الطابق الثالث وكنا على وشك قرع باب الشقة، انفتح الباب فجأة، ورأينا المؤمن  
القادم من الريف الجبلي واقفاً في انتظارنا. قال الرجل: "بينما كنت أصلي هذا الصباح، أخبرني الروح القدس  
بأنكم قادمون. ولهذا حضرت طعام الفطور". ودخلنا الغرفة ورأينا مائدة الفطور معدة مع أربعة مجالس مرتبة  
لنا. نريد أن نصلي هكذا!

، نريد أن نصلي ونعد المائدة في طاعة لما يقوله يسوع لنا، الشيء الذي سمعته في عشرات المقابلات.  
نريد أن نصلي ثم نسافر إلى المطار لنلتقط الزوار الذين أخبرنا الروح القدس بقصتهم. نريد أن نصلي لنرى

الله ممجداً. نريد أن نصلي لنجد أنفسنا واقفين إلى جانب مركبة الخصي الحبشي. نريد أن نصلي ونصدق أن الله يسمعنا ويجيبنا من خلال محادثتنا معه!

والانضباط أو التدريب الروحي للصلاة أمر مهم أيضاً. قابلاً أشخاصاً مضطهدين يمارسون الصوم أربعة أيام في الأسبوع. وليس واضحاً إن كانت الصلاة والصوم أثمرا عن علاقة حميمية بالله أم أن العلاقة الحميمة به هي التي أسفرت عن زيادة الصلاة والصوم. لكن من الواضح لنا أن الاثنين مرتبطان أحدهما بالآخر بشكل وثيق. ويصعب أن يُحرم المؤمنون المضطهدون من طعامهم لليوم كعقاب لهم، بينما المؤمنون يصومون فعلاً. وممارسة التركيز على الله من خلال الصوم أمر غائب تقريباً من العظات والحياة اليومية في كنائس كثيرة من كنائسنا، وبشكل خاص عند المؤمنين الغربيين.

### ج. العبادة القلبية

وبطريقة مماثلة، فإن المؤمنين المنتصرين الراحين تحت الاضطهاد حفظوا عن ظهر قلب كميات كبيرة من الموسيقى والترانيم التي تعلموها في بلادهم. وهم يعتمدون على ترانيمهم القلبية وموسيقاهم التي تخاطبهم وتروي قصتهم. ويرثمون تلك الترانيم كتعبير عن الإيمان وكعمل عبادة. فالترانيم تخصهم، وهي ليست مستوردة من ثقافات أخرى. هذه الموسيقى حيوية في أهميتها لبقاء الإيمان في أوضاع الاضطهاد.

قبضت السلطات على مؤمن من خلفية إسلامية بسبب إيمانه بالمسيح. وظل في السجن يمارس إيمانه يومياً بالصلاة وترداد القصص الكتابية لنفسه، وبالترنيم والتسبيح لله. كان هنالك ثمانية حراس مسؤولين عنه، يتناوبون على حراسته كل ثماني ساعات. وبعد حوالي عشرة أيام، جاءت مجموعة من الحرس إليه. كانوا غاضبين تماماً وخائفين بعض الشيء. قالوا للمؤمن: "يتوجب أن تكف عن ترنيم تلك الترانيم." فحار في طلبهم وسأل عن السبب وراء هذا الطلب غير العادي. فشرحوا قائلين: "إن الترانيم التي ترنمها قوية جداً حتى إنها ستحوّلنا. وعندئذ سنصبح مسيحيين مثلك، وسينتهي أمرنا بأن نوضع في هذه الزنزانة معك!"

هنالك تدريبات (ممارسات انضباطية) قليلة جداً في حياة المؤمن أكثر فاعلية من ترانيم التسابيح لله، وبشكل خاص عندما تستخدم كلمته في تلك الترانيم لتوجه إليه ثانية. ويتوجب أن تكون الترانيم باللغة المحلية، ومكتوبة محلياً، ومصاغة بأسلوب محلي. وأما الموسيقى المسيحية المترجمة من مجتمع من الخارج أو تستخدم كلمات أجنبية لا يبدو أنها تعطي للمرء حياة انتصار في وسط الاضطهاد. فإنتاج ترانيم محلية من ضمن الثقافة المحلية أمر مهم للغاية، وهو أمر لا جدال فيه.

يشاركنا مؤمنون محليون، أثناء مقابلة معهم، الترانيم التي يرنمونها في عبادتهم وفي وقت صلاتهم الخاصة. وإذا كانت تلك الترانيم مستوردة من الخارج، فإننا سنتيقن من أحد أمرين: فإما أن هؤلاء المؤمنين لم يمرّوا بمعاناة تكفي لكتابة ترانيمهم الخاصة، وإما أنهم خاضوا الاضطهاد مسلحين بموسيقى غريبة من الخارج. وفي تلك الحالة، فإننا نعرف أنهم على الأرجح تعثروا وسقطوا من دون اختبار حياة الانتصار في وسط الاضطهاد. وببساطة، فإن الترانيم القلبية الشخصية النابعة من المنطقة نفسها أمر مهم للغاية. إذ تحتاج كل ثقافة إلى أن ترنم ترانيمها القلبية الخاصة ليسوع. ويحتاج كل جيل ترانيمه القلبية الخاصة به. وقد علّمنا المؤمنون المضطهدون أنه يتوجب أن يكون لكل جيل ترانيمه القلبية الخاصة به.

#### د. قبول الاضطهاد كشيء عادي

يقبل المؤمنون الذين يعيشون حياة الانتصار حقيقة أن اضطهادهم أمر عادي. فالاضطهاد بالنسبة لهم ليس إشارة إلى أنهم فعلوا شيئاً خطأ. بل يمكن أن يكون إشارة إلى شهادة قُدمت بقوة!

تؤدي حياة الأمانة والشهادة الأمانة إلى الاضطهاد. فالاضطهاد هو النتيجة الحتمية للأمانة. ولهذا يتوقع المؤمنون المضطهدون الاضطهاد وينظرون إليه كشيء عادي، وقابل للتنبؤ به، ولا سبيل إلى تجنبه. لا يسعون إلى الاضطهاد، لكنهم لن يفاجأوا عندما يأتي. فالاضطهاد ببساطة نتيجة ثانوية للإيمان. وإذا لاحظنا أن الاضطهاد غير متوقع وأنه غير معتاد، غالباً ما نكتشف أن إيماناً غير متوقع وإيماناً غير معتاد انتشر في ذلك المكان.

#### هـ. التمتع بالحرية في المسيح

نال المؤمنون الذين يعيشون حياة الانتصار حريتهم في المسيح. فهم يفهمون أنهم أحرار دائماً في مشاركة إيمانهم في أي إطار مكاني، وهم يفهمون أن هنالك عواقب لشهادتهم، لكنهم يعرفون أنه لا يستطيع أحد أن ينتزع منهم حرية مشاركة إيمانهم. والحرية في مشاركة إيمانهم حرية يمنحها الله لهم، ولا يتنازل المؤمنون المضطهدون عن حريتهم لأي أحد.

في واحداً من أسوأ أيامي في الصومال كنت محتاجاً إلى كلمة من الرب. فجاء جوابه من خلال وسيلة غريبة، من بث إذاعي من هيئة الإذاعة البريطانية BBC، من امرأة عزباء كانت عضواً في البرلمان البريطاني، ويهودية المعتقد. كانت تتحدث عن الوصايا العشر، وبشكل خاص عن تلك الوصية التي تقول: "اذكر يوم السبت لتقدس" (خروج 20: 8). رأت أن العالم الغربي لا يفهم هذه الوصية، وأنا حينئذ تقريباً قوة كلمة الله التي حفرها الله في لوحين حجريين. أعلنت بصوت قوي عبر أمواج الأثير: "عندما قرأ موسى الوصية حول ضرورة تذكر السبت، كانت تدوي صرخات أو هتافات بفرح شديد عبر الأرض من أفواه اليهود كلهم." كانت الفكرة التي حاولت أن توصلها أنه لأول مرة في التاريخ البشري أعلن الله أن شعبه سيكون حراً، لأن الأحرار فقط يقدر أن يختاروا أن يكون لهم يوم سبت! فلم يعد بمقدور شعب إسرائيل أن يلوم المصريين على عدم عبادة الله الواحد الحقيقي. ففي إطار حريتهم المكتسبة صارت مسؤوليتهم الآن أن يخصصوا يوماً للعبادة – يوم يعلن على مر الزمان أن شعب الله حر. فهل طالبت بحريتك وحصلت عليها؟

#### و. التغلب على الخوف

يرفض المؤمنون الذين يعيشون حياة الانتصار في وسط الاضطهاد أن يسيطر الخوف عليهم. فالخوف من العواقب والخوف من الاضطهاد لا يمنعانهم من أن يطيعوا يسوع وأن يكونوا أوفياء له. لقد سبق أن أعطوا حياتهم للمسيح، ولهذا فإنهم يرفضون أن يخافوا الذين لا يستطيعون إلا قتل الجسد (متى 10: 28). وفي بعض الأحيان، يختار هؤلاء المؤمنون الأمانة ببساطة ألا يخافوا. وفي أحيان أخرى، فإنهم يخافون جداً، لكنهم يقررون أن يكونوا أوفياء ومطيعين بغض النظر عن أي شيء. ويفهم المؤمنون المضطهدون أن الخوف من الاضطهاد غالباً ما يكون أسوأ من الاضطهاد نفسه، ولهذا يقررون ألا يسمح لمثل هذا الخوف بأن يثبط استجابتهم الطبيعية لدعوة المسيح.

يرفض المؤمنون المنتصرون في الاضطهاد أن يكونوا محددين بالخوف. بل يرغبون في أن يحدوا بالإيمان والطاعة. قال مؤنان من خلفية إسلامية، أحدهما مؤمن قديم والثاني أكثر حداثة في بلدين مختلفين،

إنه توجدُ 366 آيةً في الكتاب المقدس مرتبطة بالخوف. فكانت شهادتهم: "لقد أعطانا الله آية لكل يوم، وآية إضافية في حال مواجهة ظروف سيئة جداً ذات يوم."

قام الله بمخاطرة عظيمة في جنة عدن عندما أعطى الإنسان خياراً بين الخير والشر. وفي بعض الأحيان لم نتخذ أفضل الخيارات. غير أن الشيء الوحيد الذي لا يستطيع إبليس أن ينتزعه منا هو القدرة على الاختيار. يمكننا أن نختر ألا نخاف، ويمكننا أن نختر الفرح، ويمكننا أن نختر على الدوام يسوع. وربما يكون خوفنا أعظم أداة في ترسانة إبليس. ولا يستطيع إبليس أن يكون في كل مكان في الوقت نفسه. ولا يستطيع أن يعرف كل شيء. فهو ليس كلي القدرة. غير أنه يمكنه من خلال خوفنا أن يحتفظ بنا كأسرى. فخوفنا يسمح له بأن يكون في أماكن كثيرة في المرة الواحدة. ويقدم خوفنا له معرفة وقوة علينا. وأما المؤمنون المنتصرون في الاضطهاد فقد نالوا حريتهم في المسيح. وبفضل هذه الحرية، فإنهم يفقدون خوفهم.

#### 4. قوة للاحتمال: سمات المجتمع الداعم

إضافة إلى السمات الشخصية التي ساعدت مؤمنين أفراداً في الصمود والاحتمال بصبر وانتصار عبر المشقات والاضطهاد، حدّد نك ركن سمات رئيسية لمجتمع المؤمنين تشكل أهمية حيوية إذا أردنا للمؤمنين أن يحتملوا بصبر.

#### ز. استظهار النصوص الكتابية

يستطيع المؤمنون الذين يرزحون تحت الاضطهاد ويحيون حياة الانتصار أن يعيدوا جميع أجزاء كبيرة من الكتاب المقدس من الذاكرة. فالمؤمنون المضطهدون يحبون كلمة الله، ويستظهرونها، ويتأملونها، ويلتزمون بكلمة الله. وقد أعادوا تركيب أجزاء كبيرة من الكتاب المقدس شفويًا، لأن كلمة الله منقوشة على قلوبهم. ومع أن المؤمنين المضطهدين يعرفون مدى أهمية كلمة الله المكتوبة، إلا أنهم يعرفون أيضاً أن كتابهم المقدس الشفوي هو كل ما سيسمح لهم بأخذه إلى السجن معهم. ويشير المؤمنون المضطهدون إلى أن الكتاب المقدس الذي تحفظه عن ظهر قلب هو فعلاً كتابك المقدس. فكلمة الله جزء كبير لا يتجزأ من كيانهم وهويتهم ولا يمكن أن يُنزع منهم.

تعلم المؤمنون المضطهدون من يسوع، وبعضهم من بعض، كيف يتعاملون مع الكتاب المقدس شفويًا. فعندما تبرز فرص الشهادة، وعندما يحاول الجلاّدون أن ينتزعوا معلومات من المؤمنين، فإنهم غالباً ما يجيبون عن كل سؤال بقصة من الكتاب المقدس. وعندما يُطرح عليهم سؤال حول القصة التي شاركوها، فإنهم يروون ببساطة قصة أخرى من الكتاب المقدس.

لا يسمح جلاّدو أبناء الله بوجود كتب مقدسة في السجن. فإن كلمة الله المطبوعة على قلوب المؤمنين هي التي تسمح لهم بأن ينجحوا ويتقوا عبر الاضطهاد. وأحياناً ما يتدّمر أتباع الإسلام عندما يسألوننا سؤالاً كتابياً، لأن المؤمنين يجدون كتابهم المقدس، ويستخرجون آية بعينها في فهرس الكتاب المقدس في الجزء الخلفي منه، ثم يجيبون عن سؤالهم.

ونأتي الآن إلى قصة ثمانية مؤمنين من بلد في آسيا الوسطى القاسية. وكانوا مقتدرين جميعاً في التوصيل الشفوي لرسالتهم، وقد ربّحوا الآلاف من الأشخاص للمسيح. عرف هؤلاء المؤمنون الثمانية معاً حوالي عشرين قصة من الكتاب المقدس. وبطريقة ما، عرفوا قصصاً تكفي لأن يسمعوها عن يسوع، ويؤمنوا به، ويتعمّدوا، ثم يشكّلوا مئات من الكنائس البيئية. تمكّنوا من زيارتهم مدّة خمسة أيام. وأثناء ذلك الوقت، عندما كانوا يطرحون علينا سؤالاً، كنا نجيبه بقصة من الكتاب المقدس. وبعد ذلك كانوا يناقشونها فيما بينهم. ثم كانوا يعيدون رواية

القصّة عدّة مراتٍ بعضهم لبعض، بينما كانوا يروون قصصهم الخاصة والتي بدت موازيةً للروايات الكتابيّة. استمروا على هذا المنوال مدة خمسة أيام، فخرجوا بعد هذه المدّة بما يزيد عن خمسين قصّة من الكتاب المقدّس.

كان واحدٌ من مجموعتهم قادراً على القراءة. فكان يحملُ كتاباً مقدّساً في يده. ويصادقُ على صحّة القصص الكتابيّة التي كانوا يروونها من الذاكرة. وبعد سرد كلّ قصّة، كان ينظرُ إلى القصّة في الكتاب المقدّس ثم يثبتُ أنه ما قد سمعه كان مدوناً فعلاً في كلمة الله وأن الراوي شاركها بدقة. إن امتلاك الكتاب المقدّس في أشكاله المدوّنة والمقروءة أمرٌ لا غنى عنه. وإطلاق الكتاب المقدّس من خلال قوّة الروح القدس لتتمّ مشاركته في أشكال شفوية أمرٌ لا غنى عنه أيضاً. وتكمُن الفكرة في قوّة الروح القدس ومركزيّة الكتاب المقدّس المطلقة في كلا شكله الشفويّ والتحريريّ. لكن في سياقات الاضطهادات، فإن الكتاب المقدّس الشفويّ سيكفي لمعظم المؤمنين، مدعوماً بالكتاب المقدّس في شكله المقروء والمكتوب.

### ح. الانتماء إلى العائلة

يعرفُ المؤمنون المضطهدون الذين يعيشون حياة الانتصار أن هنالك أشخاصاً يصلّون من أجلهم وأنهم غيرُ منسيين. كنا نذهلُ تماماً عندما نرى ردّ فعل المؤمنين المضطهدين لدى معرفتهم بأنهم لم يُنسوا، وأن مؤمنين آخرين يعرفون عن معاناتهم، وبأن آلاف المؤمنين حول العالم كانوا يصلّون من أجلهم. كان لوعيتهم هذا تأثيرٌ يفوق التشجيع وحده، بل كان واهباً للحياة، وفي أحيانٍ أخرى، كان حافظاً لإيمانهم.

عندما نصلُ أخيراً إلى موقع سرّي لمقابلة المؤمنين المضطهدين، غالباً ما كان ردّ فعلهم الأولي صدمة، أو عدم تصديق، ثم دموعاً. كانوا يتأثرون في أعماق نفوسهم عندما يسمعون أنهم غيرُ منسيين، وأن المؤمنين في بلادٍ أخرى لم يتوقفوا عن الصلّة من أجلهم.

أرجو أن تأخذ هذا الأمرَ مأخذ الجدّ. فالمؤمنون المضطهدون لا ينجحون عبر الاضطهاد بأنفسهم. إذ تُختبر حياة الانتصار في الاضطهاد عندما يرفعُ جسد المسيح على أكتاف الصلّة أعضاء متألّمين منه إلى عرش الله. فغالباً ما ينتصر المؤمنون المضطهدون من خلال صلواتك. أعلّك تتخذ قراراً أنه إذا كان مؤمناً في جزءٍ آخر من العالم انتصر، وهو يقبع في زنزانة مظلمة أو وهو يُضرب، أن انتصاره هذا جاء هذا بفضل صلواتك من أجله؟ فيا له من امتياز عظيم! هذا هو جسد المسيح.

### ط. الاتكال على الآخرين في الاهتمام بالأحباب (العائلة)

المؤمنون المضطهدون الذين يعيشون حياة الاضطهاد على يقين من أن مجتمع الإيمان المحلي سيهتم بعائلاتهم. وحتى في السّجن، يمتلك المؤمنون الرازحون تحت الاضطهاد ثقةً مطلقةً بأنه سيتم الاهتمام بعائلاتهم بينما هم عاجزون عن فعل ذلك في السّجن. ليس هذا مجرد أمل، بل يقين. وتشيرُ مقابلاتنا كيف أن مجتمع الإيمان المحلي أثبت نفسه مراراً وتكراراً على أنه أمينٌ في هذه النقطة من الاحتياج.

فعندما يُزار راعٍ أو شيخٌ أو شماسٌ أو مبشرٌ أو زارعٌ كنيسة في السّجن، فإن أول سؤالٍ يطرحه الزائر هو: "كيف حالك؟" ومن الغريب أن مثل هذا السؤال لا يجاب عنه أبداً. فبدلاً من ذلك، يحوّل السّجين المحادثة بعاطفة مشبوبة في اتجاه آخر: "كيف زوجتي؟ كيف أبنائي؟" فيردُّ الزائر الذي يمثل جسد المسيح قائلاً: "تتمثل مهمّتك في أن تكون مطيعاً ليسوع أثناء وجودك في السّجن. وتتمثل مهمّتنا في الاهتمام بعائلتك ما دمت في السّجن. فأرجو أن تقوم بمهمّتك ودعنا نقم بمهمّتنا." فمعرفة المؤمنين المضطهدين بأن عائلاتهم تتمّ رعايتها من شأنه أن يعطيهم الثقة من أجل الصمود.



### ي. المعرفة بأن المعاناة هي من أجل المسيح

يفهم المؤمنون الذين يعيشون حياة الانتصار في وسط الاضطهاد أن الآلام هي من أجل يسوع. ويفهمون أن معاناتهم ليست عقاباً شخصياً على شر ارتكبوه. بل يدركون في صميم كياناتهم أن معاناتهم هي من أجل المسيح والإنجيل. ذهبت بعض الغربيات إلى بلد يفرض قيوداً صارمة جداً. ورغم أنهم لم يعرفن عالم الاضطهاد من قبل، إلا أنهم بذلوا ما بوسعهم في وضع عدائي. ورغم أنهم بذلوا قصارى جهدهم إلا أنه تم القبض عليهم من الإسلاميين الأصوليين ووضعهم في سجن بدائي. وقامت وسائل الإعلام الغربية، وحتى بعض المنظمات المسيحية، بانتقاد أولئك الشابات ملقن اللوم عليهن لتعرضهن للاضطهاد على أيدي الأصوليين! وقد طرح اقتراح بتقديم المنظمة المرسلّة اعتذاراً لمضطهديهم على ما حدث!

ليست هذه مشيئة الله أو طريقته. فحتى إذا ارتكبنا أخطاء في شهادتنا، يتوجب علينا أن نتذكر أن الشهادة الوحيدة التي لا يراها الله هي غياب الشهادة! وفي نهاية المطاف، لا يوجد شيء يدعى شهادة تافهة أو سيئة. وفي الوقت نفسه، فإن ما نحاوله قدر الإمكان في هذا الكتاب هو ألا نعطي إبليس فرصة كبيرة بأن يأخذ أعمالنا الحسنة ويحوّلها إلى شيء هدام. وكلما يُضطهد أخ أو أخت، بغض النظر عن الكيفية التي حدث بها هذا الاضطهاد، فإن علينا أن ننظر إلى أختنا (أو أختنا) وأن نضمّم بأذرعنا ونقول له: "إن ما حدث لك إنما حدث من أجل يسوع، ونحن فخورون بك." وعندئذ يمكن أن نرجع إلى الوراثة لنراقب كيف أن الروح القدس يقوّي إخواننا أو أخواتنا في وسط الاضطهاد ويمنحهم تجديداً ورجاءً وقوة. ولا يمكننا أن نلوم الذين اضطهدوا على ما فعله مضطهدوهم بهم! ونحن نقوم ببساطة بدعوة الروح القدس لكي يعلم المضطهدين كيف أن يصبحوا شركاء حكماء في الكرازة وزرع الكنائس.

### ك. تذكّر أولئك الذين قطعوا ذلك الشوط قبلنا

المؤمنون المضطهدون الذين يعيشون حياة الانتصار متخصصون في علم أنساب الإيمان. فعندما أسمع قصة إيمان كتابيّة تلو الأخرى عن الطاعة الأمانة بأعداد كبيرة، فإنني أصرخ: "من أين تعلموا أن يحيوا هكذا؟ وكيف تعلموا أن يموتوا هكذا؟" ويأتي الجواب دائماً: "تعلمته من أبي، جدي، جد أبي، جدي. تعلمته من أبي، جدة أُمي." ضربوه، وجوعوه، وأذلّوه سبع عشرة سنة. وشملت خبراته في الاضطهاد أنواع التعذيب الجسديّ والنفسيّ التي يسجلها التاريخ. غير أنه كان يرئم كل يوم في السجن حتى عندما كان ينزف وعندما كان يُحبط في سجنه حتى تفكك الاتحاد السوفييتي.

والآن، يعمل ابنه قساً في السجن نفسه الذي احتجز فيه أبوه مدة حوالي عقدين. من أين لهذا الشاب أن يتعلم ويحيا ويموت كتابيّ للمسيح؟ لقد تعلم ذلك من أبيه. ومن الواضح أن المؤمنين من الجيل الأول من المناطق التي لم يتم وصول البشارة إليهم لم يكن لديهم أنساب إيمان كهذه ولم تولد كنائس فيها بعد. وربما تكون جزءاً من هذه المجموعة. ربما يكون لديك كتاب مقدس صغير الحجم وعدة ترانيم للإيمان. وربما يكون المؤمنون حولك مشتتين ووحيددين وخائفين. ربما تعتقد أنه ليس لديك أحد يصلي من أجلك أو يزورك في السجن، أو يعتني بعائلتك. وربما تشعر بأنك مضطّر إلى مواجهة الاضطهاد وحدك.

ينبغي أن تدرك ذلك: لدينا أنساب إيمان من كلمة الله. وهي سلاله أنساب كتابيّة لا يمكن إنكارها تربطك بشعب الله الأماء المطيعين من بداية سفر التكوين إلى نهاية سفر الرؤيا. وتيقن مما يلي: هكذا عاش شعب الله على الدوام وماتوا. وهكذا ستحيا أنت وتموت كجزء من شعب الله. ولدينا مسؤولية في أن نظهر لهم من حياتنا كيف نعيش ونموت.

وهناك تحدّ ثانٍ للذين وُلدوا في عائلةٍ مسيحيّةٍ في الشرق الأوسطِ وشمال إفريقيا. ينبغي أن تكون لدينا الشجاعة، شأناً شأنٌ بولس الذي شجّع الآخرين على التمثّل به، لنقول للجبل الأول من المؤمنين الذ جاء من خلفيّة دين الأغلبية: "إذا أردتم أن تعرفوا كيف أن شعب الله يعيش ويموت، فانظروا إليّ. راقبوني. وتمثّلوا بي." يصعب علينا أن نتخيّل دعوة أسمى أو مسؤوليّة أعظم. لكن هذا هو الأقلّ جزء كبير من دعوتنا.

## 5. خاتمة

إن السمات الإحدى عشرة المبيّنة في القسمين السابقين هي التي اكتشفَ د. ربكن أنها مُنطبقة على حياة المؤمنين الذين عاشوا بانتصارٍ عبر الاضطهاد. وليست هذه أكثر من مجرد "سماتٍ لأشخاصٍ آخرين"، لكنها تصبح لنا دعوة تنطوي على التّحدي إلى التّقييم الذاتي في حياتنا وكنائسنا.

لا يُقصد بهذا الدرس أن يكون قائمةً أو بياناً لحياة الانتصار في وسط الاضطهاد. فالسمات المبيّنة تذكيرٌ لنا بمتطلباتٍ حتميّة ترشد المؤمنين ببسوع في كلّ زمانٍ ومكانٍ. لقد دفع المؤمنون ثمناً عالياً جداً من خلال الاضطهاد لكي يشاركونا دروس حياتهم المبيّنة أعلاه. ويتوجب علينا أن نستجيب لهذه المادّة المقدّسة باحترامٍ وعرفانٍ وعزم بأن نقرّر، بعون الله، أن نتعلّم من مثاليهم واتباعه في حياة الانتصار من أجل يسوع.

## مراجعة وأسئلة للنقاش

- راجع علامات حياة الانتصار الإحدى عشرة المُدرجة في الدرس.
- عندما ترى أن بعضاً من سمات حياة الانتصار في كنيستك أو عائلتك أو حياتك، اكتب حول كلّ ناحية ثلاثة أشياء يمكنك أن تحسّنها في تلك النواحي. ينبغي أن تكون الخطوة الأولى الصّلاة – هل يمكنك أن تفكر في ثلاث خطوات عمليّة أخرى يمكن أن تتخذها؟
- (أ) تأمل أبطال الإيمان الذين يبرزهم الإصحاح الحادي عشر من الرسالة إلى العبرانيين. أيّ السمات الحادية عشرة لحياة الانتصار واضح في حياة أولئك الأبطال؟
- (ب) أيّ السمات الحادية عشر من الرسالة إلى العبرانيين. لحياة الانتصار واضح في حياة أولئك الأبطال؟
- (ج) إن كنت متزوجاً ولك عائلة، أيّ من هذه السمات أكثر وضوحاً في حياة عائلتك وأبنائك؟
- (د) أيّ السمات تلك واضح في حياتك؟
- أيّ سمتين من السمات المذكورة أعلاه تجد أنهما أكثر عمليّة وفائدة وأنت تتأمل خبرتك الشخصية بالمقاومة والمعاناة والألام. وأيّ سمتين أقلّ صلة بك؟ اشرح.

## تقييم – اقتراح امتحان

قيّم الكنيسة التي تخدمها. اكتب خطة عمل، مفصلاً الخطوات التي ينبغي اتخاذها من أجل تحسين قدرة كنيستك على الصّمود في أوقات الضّغط والاضطهاد.

## Bibliography

Fernando, Ajith. *The Call to Joy and Pain: Embracing Suffering in Your Ministry*  
Wheaton: Crossway Books, (2007)

Ripken, Nik, *The insanity of God: A True Story of Faith Resurrected*, B&H Publishing  
.Group, 2013

Ripken Nik, *The insanity of Obedience, Walking with Jesus in Tough Places*, B&H  
.Publishing Group, 2014